ودمشق من جهة ثانية ، كانا كافيين لاحداث ردود فعل عنيفة لدى قادة اسرائيل ، يكفينا للدلالة عليها تلك « الرجة » التي طرأت مؤخرا على صوت غولدا مئير عند مخاطبتها الاسرائيليين والطريقة « اللطيفة » « الهادئة » التي يتحدث بها موشيه ديان ، اذا ما قيست بتصريحاته المتغطرسة السابقة ، ثم دعوة معظم جنرالات الاحتياط في الجيش الى الخدمة الفعلية ، واخيرا ذاك التخبط الذي يسود تفكير الزعماء والقادة وكبار المعلقين في اسرائيل ، اذا ما قيس بالتصريحات المتناقضة التي تصدر عنهم . ان المرء لا يسعه ، ازاء هذه الحالة التي تسود اسرائيل وازاء الصمود العربي على جبهات القتال، الا ان يأمل ان يستمر ذلك الصمود والا يقع العرب في خطأ وقف اطلاق النار ، كما فعلوا في أكثر من مرة في السابق ، بحيث لا يكفوا عن الضغط عسكريا على اسرائيل ولو يوما واحدا ، حتى الحصول على نتائج ملموسة جدا من هذا القتال .

ان هذا الامر يتطلب طبعا تضحيات جمة ، ولكن لا ينبغي ان ننسى ابدا ذلك التهديد الدائم الذي يوجهه العسكريون الاسرائيليون الى الدول العربية المجاورة لاسرائيل . لقد وصل غرور الجنرالات الاسرائيليين حدا لا يجوز السكوت عنه ، وما زلنا نتذكر تصريحات بعضهم حول قدرة اسرائيل على احتلال دمشق وبغداد والخرطوم والقاهرة، وحتى المغرب ، خلال ايام ، او تصريحات رئيس الاركان الاسرائيلي حول الساعات القليلة التي يحتاج اليها جيشه لتدمير اية قوة عربية تهاجم اسرائيل ، او الانذارات المغرورة التي اطلقتها رئيسة وزراء اسرائيل حول المصائب التي ستحل بمصر والدمار الذي سيكون من نصيبها اذا ما « تجرأت » وبدأت باطلاق النار . انه لمن الضروري بمكان ، ازاء هذا الوضع وازاء مواقف اسرائيل المتصلبة التي شهدها العرب خلال الاعوام الاخيرة ، تلقين العدو الاسرائيلي درسا لا ينساه ، ولا بد من الاثبات له ،بصورة قاطعة ، ان تهديد القاهرة ودمشق بالغزو ليست نوعا من عمليات عصابات الهاغاناه والبلماح ، التي كانت عادة سليمة العواقب ، وان اراضي الوطن العربي ليست مجرد مناطق مخصصة لاقامة المستوطنات الصهيونية عليها ، وانما قد تصبح في نهاية الامر مقبرة للغزاة الاسرائيليين . وليس هذا ضروريا لسلامة القاهرة ودمشق فحسب ، وانما هو ضروري — ودون مبالغة — لضمان مسيرة التقدم العربي عامة وضمان الامن والسلام والاستقرار لكل فرد عربي .

لقد ادى السكوت العربي على سياسة القوة الاسرائيلية الى ازدياد صلافة حكام اسرائيل واتساع مدى استخفافهم بالعرب ، وبالتالي توسيع نطاق جرائمهم . ونكتفي بهذا الصدد باجراء مقارنة بسيطة ، في ناحية واحدة ، بين مواقف اخر ثلاثة رؤساء وزراء لاسرائيل ، فبن — غوريون ، وعلى الرغم من مواقفه العدائية المعروفة من العرب ، أصر ، مثلا ، على عدم استعمال الطيران في نزاعات الحدود مع الدول العربية ، على الرغم من كثرتها في عهده ، من خلال « شعور بالمسؤولية » وحتى لا يتسبب في تصعيد مواقف اي من الطرفين ، بينما لم يتردد اشكول عندما وجد نفسه في اوضاع مماثلة ، في استعمال الطيران بشكل مركز ، في أول خلاف ينشب بين اسرائيل وسوريا ، بعد توليه رئاسة الوزارة ، حول تحويل مياه الاردن قبل نحو ١٠ أعوام . اما غولدا مئير ، التي يقال انها تؤمن بأن اسرائيل لا يمكن ان تكون على خطأ وان مجرد توجيه انتقاد اليها هو نوع من اللاسامية ، فلم تتردد — كما هو معروف — في استعمال الطائرات لقصف القرى ومعسكرات اللاجئين والمصانع والمنشآت المدنية ، وحتى قصف القاهرة ودمشق ، ثم الحديث بعد ذلك ، بصفاقة اسرائيلية معهودة ، عن حب السلام الذي ينبغي فرضه على العرب . ومن الواضح ، والحالة هذه ، انه لا بد من ارجاع مئير وجنرالاتها الى صوابهم ، وليس من طريق ، استنادا الى التجارب السابقة ، الا طريق القوة — ومن المفضل ، طبعا ، القوة العسكرية بالذات . ومن هذه الناحية ،